

الفصل الثالث

ضرورة التمييز بين الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية

بعد استعراضنا طائفة من التعريفات التي حُدَّتْ بها الجملة العربية من قبل علماء العربية قدمائهم ومحدثيهم، انتهينا إلى أن الفرق الأساسي بين مفهوم "الجملة" ومفهوم "الوحدة الإسنادية" (١) ظل غائباً في نحونا العربي على نحو يكاد ينظر فيه إلى المفهومين على أنهما رديفان، وبخاصة على المستوى التطبيقي.

وإذا كان الباحث "محمد الشاوش" قد أدرك الفرق الذي بين التركيب الإسنادي الحامل مضموناً كلياً قصد إليه المتكلم، بحيث يكون هذا المضمون مفيداً مستقلاً بنفسه، والتركيب الإسنادي الحامل مضموناً يكفي أن يكون جزئياً لا يستقل برأسه، واهتدى إلى أن هذا التركيب الإسنادي الأخير غير المستغني عن غيره يسمى في الفرنسية (proposition)، وفي الإنجليزية (clause)، فإننا نرى أنه لم يحالفه التوفيق حين وضع المصطلح المقابل له في العربية شبه الجملة (٢). وكان قبله الدكتور أحمد محمد قدور" قد ترجم مصطلح (proposition clause) بكلمة "العبارة" (٣) ليكون بذلك قد ابتعد ابتعاداً كبيراً عن مفهوم المصطلحين (٤)، والتبس عليه مصطلح "الوحدة الإسنادية"، ذلك أن كلمة "العبارة" لا تؤدي سوى مفهوم (expression) (٥) وإذا كان النحاة العرب من أمثال الإستراباذي، وابن هشام والزمخشري وابن مالك وسواهم ممن لم يشترطوا في الجملة أن يكون لها كيان مستقل، ومن ثم يعدون التركيب الإسنادي الذي يؤدي وظيفة الخبر أو النعت أو الحال وسواها جملة، فإن ثمة باحثاً محدثاً رأى أنه لو وضع لمثل هذه التراكيب الإسنادية المكتتفة في غيرها مصطلح (٦) آخر لكان أجدى في مجال البحث اللغوي والتحليل النحوي (٧). ورأى أن "ابن هشام" كان يعني بالجملة الصغرى مصطلح clause (٨) وأن هذه الجملة إن هي إلا جملة مجازية (٩)، لأنها إذا كانت - حسب رأيه - في سياق مستقل كانت جملة (١٠). وظل مفهوم الوحدة الإسنادية

محفوظاً بالغموض معتماً مغيباً حتى لدى أولى الإسهامات الحديثة الفاعلة الحديثة الفاعلة في اللسانيات كما بينا.

وأمام ما سجل حيال الوحدة الإسنادية من اشتباه واضطراب لم يسلم منه لا القدامى ولا المحدثون آلياً على أنفسنا أن نسهم في قطع دابر هذا اللبس، محاولين إزالة الغموض الذي يكتنف كلاً من الجملة العربية والوحدة الإسنادية، وبخاصة بعد أن مهد لنا سبيلنا هذه الأستاذ الفذ " أحمد خالد " في كتابه المشار إليه آنفاً (١١). وقبل أن نتناول مصطلح " الوحدة الإسنادية " وما يحيط به من حيث المبنى والمعنى، نرى من الأهمية بمكان الوقوف عند الإسناد من حيث مفهومه، وأهميته بوصفه معنى نحويلاً لا يمكن أن تتألف أية جملة أو وحدة إسنادية ما لم تبني عليه. فما مفهوم هذا الإسناد الذي له هذه الأهمية؟

الإسناد:

مفهومه لغة: إذا بحثنا عن المعنى اللغوي للإسناد وجدناه مصدراً للفعل الرباعي "أسند"، ويقال أسند إلى الشيء كذا أي جعله معتمداً عليه. وأسند الحديث معناه عزاه إلى قائله ونسبه إليه، "وهو إضافة الشيء إلى الشيء" (١٢).

وهو في اصطلاح النحويين "ضم كلمة أو ما يجري مجراها (١٣) إلى أخرى، حيث يفيد الحكم، وهو نقطة الارتكاز بأن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنه" (١٤) وهو ارتفاع نسبة تامة بين كلمتين لوجود علاقة تبين تعلق إحداهما بالأخرى (١٥). لأن علاقة الإسناد هي المكون الأساسي للجملة أو الوحدة الإسنادية (١٦). والنسبة كما عرفها " الشريف الجرجاني " هي " إيقاع التعليق بين الشيئين " (١٧) أي بين اللفظين المكونين للتركيب الإسنادي. كنسبة الخبر إلى المبتدأ، وكنسبة الفعل إلى مرفوعه، ذلك أن التعليق قد يكون بين اسم واسم، أو فعل واسم. وقد يكون الإسناد الخبري بين وحدتين إسناديتين، وذلك بضم إحداهما إلى الأخرى نحو الإسناد الذي في الآية الكريمة (والذي خبث لا يخرج إلا نكداً) (الأعراف / ٥٨). حيث إن كلاً من المسند إليه والمسند هو وحدة إسنادية (١٨) انطلاقاً من أن التركيب الإسنادي الذي تبني عليه الجملة أو الوحدة الإسنادية (١٩) ليس مطلق التركيب بل تركيب الكلمة

مع الكلمة إذا كان لإحدهما تعلق بالأخرى على السبيل التي بها يحسن موقع الخبر (٢٠). فالمنسوب من الكلمتين يسمى مسنداً والمنسوب إليه مسنداً إليه (٢١) على حسب وظيفة كل منهما في الجملة أو الوحدة الإسنادية. ولما كان الإسناد رابطة معنوية بين الفاعل وما يطلبه يكون موجوداً في كل تركيب به فاعل كما يكون موجوداً بين المبتدأ وخبره (٢٢). كما يكون موجوداً بين الوصف والمرفوع بعده (٢٣). ولما كان الإسناد لا يتأتى بدون طرفين مسند ومسند إليه عد النحاة العرب هذين الطرفين عمادي الجملة والوحدة الإسنادية لأنهما العماد في بنائهما، لا يستقيم تركيبهما الإسنادي بدونهما بوصفهما "اللوازم للجملة والعمدة فيها وهي لا تخلو منهما وعدهما فضلة" (٢٤). وهذا الإسناد الذي يشكل أساس العلائق في الجملة العربية (٢٥)، إذ يعد بؤرتها وأهم علاقة فيها، (٢٦) يرى الدكتور مهدي المخزومي أنه "عملية ذهنية تعمل على ربط المسند بالمسند إليه" (٢٧). هذه العملية الذهنية ينجزها ذهن المتكلم حين يدرك أن ثمة علاقة ما بين شيئين يريد التعبير عنهما فيتم في الذهن الربط بينهما بومضة الإسناد. يقول الجرجاني: "معاني الكلام كلها لا تتصور إلا فيما بين شيئين، والأصل والأول هو الخبر" (٢٨) ويقصد بالخبر المسند. فالجملة الفعلية البسيطة "نجح المجتهد" نجدها تعبر عما تم في ذهن المتكلم من صورة تامة قوامها المسند إليه (الفاعل) وهو "المجتهد" والمسند (الفعل) وهو "نجح" ونجدها توضح إسناد النجاح إلى المجتهد. فالعملية الذهنية التي ربطت بين النجاح والاجتهاد هي ما يسمى بالإسناد.

فالمتكلم لم ينطق بالفعل "نجح" إلا وهو يريد إسناده إلى "المجتهد" ولو لم تكن في الذهن تفكير في الإسناد يسبق النطق بالمسند والمسند إليه لكانت هذه الألفاظ ليس لها سوى دلالتها المعجمية. ولقد أوضح الزمخشري أهمية الإسناد الذي هو رابط ذهني بين المسند والمسند إليه للذين رأى أنه لو جرداً منه لأصبحا في حكم الأصوات التي حقها أن ينعق بها غير معربة لأن الإعراب لا يستحق إلا بعد العقد والتركيب (٢٩).

والجملة التامة التي تعبر عن أبسط الصور الذهنية التي يسوغ السكوت عليها، والوحدة الإسنادية في أحدهما الأدنى بوصفهما بناء ثنائي الشكل (٣٠) والتكوين يلاحظ أن قوامهما عناصر ثلاثة هي:

(١) - المسند إليه أو المتحدث عنه أو المبني عليه.

(٢)- المسند الذي يبني على المسند إليه. وهو ما يتحدث به عنه.

(٣)- الإسناد: وهو المعنى المدرك الرابط بين المسند والمسند إليه (٣١).

ذلك أن الإسناد الذي يقتضي صحة التناسب بين المسند والمسند إليه في اللغة العربية يتطلب تحري النحويين استقامة الشكل وصحة الصناعة. ويكفي فيه إنشاء علاقة ذهنية بين موضوع ومحمول، أو مسند ومسند إليه دون حاجة إلى التصريح بهذه العلاقة نطقاً وكتابة (٣٢)، لأن الإسناد الأصلي هو نسبة إحدى الكلمتين حقيقة أو حكماً إلى أخرى سواء أكان مقصوداً (٣٣) لذاته أم لا (٣٤). فالرابطة الإسنادية هي رابطة معنوية ضمنية. وتلك الرابطة هي نسبة أحد ذينك العنصرين إلى الآخر بقرينة معنوية يدل عليها السياق.

ويسميتها عبد القاهر الجرجاني "التعلق" ويسميتها اللسانياتي الغربي "تسنير connexion". وتحصل بتكامل المسند والمسند إليه وبتزاوجهما علاقة بيان لا تقوى الكلمة المفردة على أن تصل إليه أو أن تقدمه (٣٥).

ففي الجملة الفعلية أو الوحدة الإسنادية الفعلية قد يحذف المسند إليه (الفاعل) (٣٦) في البنية السطحية (٣٧) في نحو التركيب الإسنادي (الجملة المركبة) "جاء يمشي" (٣٨). ولكن حذفه لا يلغي وجوده في البنية العميقة. لأن تقديره واجب دل على وجوبه حصول الفائدة التي لا تتحقق بدونه (٣٩). وأساس ذلك أن الأصل في التركيب الإسنادي التام أن ينهض على دعامتين ممثلتين في مثل هذه الجملة الفعلية في الفعل وفاعله. فلما حذف أحد الركنين وجب تقديره لأنه جزء من نواة الجملة لم يكن ملفوظاً (٤٠)، ولكنه منوي ذهنياً، لأن مضمون فكرة النحاة عن نظام الجملة أو الوحدة الإسنادية يرتكز على وجود الإسناد (٤١).

وبعد أن عرفنا أن من أهم خصائص التركيب الإسنادي أنه ثنائي الشكل والتكوين، يتألف من ركنين ضروريين هما في اصطلاح اللغويين المسند والمسند إليه اللذان يمثلان وحدة لغوية متماسكة متكاملة في الجملة أو الوحدة الإسنادية، سواء أكانت تلك الجملة أو الوحدة الإسنادية فعلية أم اسمية. نحاول أن نعرف ما الذي يمكن أن يكون مسنداً، أو مسنداً إليه في هذا التركيب الإسنادي التام.

أولاً - ما يكون مسنداً إليه وما يكون مسنداً في الجملة الاسمية أو الوحدة الإسنادية الاسمية:

يسجل أن مواضع المسند إليه في هذا النوع من التركيب الإسنادي هي: المبتدأ وما أصله مبتدأ كاسم كان وأخواتها، واسم كاد وأخواتها، واسم أفعال الشروع، واسم إن وأخواتها. أما: ما يكون مسنداً في الجملة الاسمية أو الوحدة الإسنادية الاسمية: فهو خبر المبتدأ وأخبار النواسخ الفعلية والحرفية.

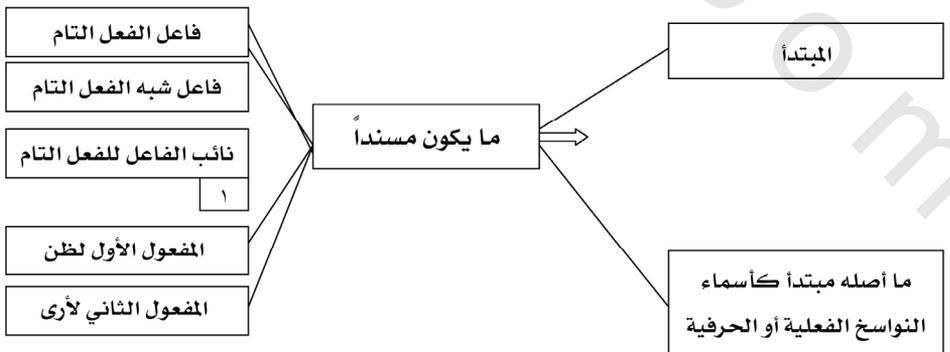
ثانياً: ما يكون مسنداً وما يكون مسنداً إليه في الجملة الفعلية أو الوحدة الإسنادية الفعلية:

يلاحظ أن مواضع المسند في هذا الصنف من التركيب الإسنادي هي: الفعل التام (٤٢) واسم الفعل (٤٣)، والمصدر النائب عن فعل الأمر (٤٤)، والوصف (٤٥)، والمفعول الثاني لظن وأخواتها (٤٦)، والمفعول الثالث لأرى وأخواتها (٤٧).

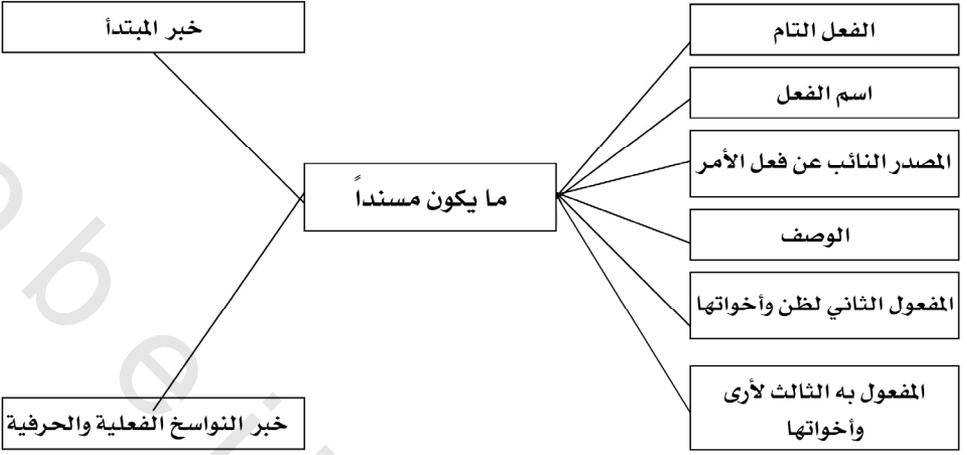
أما ما يمكن أن يأتي مسنداً إليه في التركيب الإسنادي الذي سلفت الإشارة إليه فهو: فاعل الفعل التام أو شبهه (٤٨)، ونائب الفاعل للفعل التام أو شبهه (٤٩)، والمفعول الثاني لأرى وأخواتها (٥٠)، والمفعول الأول لظن وأخواتها (٥١).

وهذا بيان ما يمكن أن يكون مسنداً وما يمكن أن يكون مسنداً إليه في الشكلين التاليين.

الشكل الأول:



الشكل الثاني



ونلتفت الانتباه إلى أننا في دراستنا هذه المنوطة بالمسند إليه (المبتدأ) سنركز على صور هذا العنصر حين يرد وحدة إسنادية وظيفية في الجملة المركبة. سواء أكانت هذه الوحدة الإسنادية الوظيفية فعلية أم اسمية، وسواء أكانت بسيطة أم مركبة. وسيأتي تفصيل كل ذلك لاحقاً (٥٢).

حد الوحدة الإسنادية:

قبل تقديم تعريف الوحدة الإسنادية يحسن بنا أن نسوق التعريف الذي أورده أحمد خالد" لمصطلح (proposition) (clause) عند اللسانياتيين (٥٣) الغريبيين الذي مفاده أنها وحدة بنائية إخبارية يعبر بها الإنسان عن حدث أو موقف يعيشه، يخالجه وجدانه وباطنه، يتفاعل معه ويخامر ذهنه. إنها بيان رأي أو حكم أو انطباع أو إحساس أو طلب أو أمر أو استفهام أو تعجب. وتكون الوحدة البيانية جزءاً من الجملة كما قد تكون جملة كاملة وتتألف الوحدة البيانية من عنصرين أساسيين هما الفاعل (sujet) والفعل (prédicat) الذي قد يعوض بالاسم وتتشأ عنهما علاقة ترابط وبيان أو إستناد يسميها اللسانيون (٥٤) الغريبيون رأياً أو حكماً (jugement). (٥٥) فالوحدة الإسنادية (البيانية) حسب هذا الحد تتألف من مسند إليه ومسند (sujet Prédicat). ويسجل أن هذين الركنين الأساسيين في بناء الوحدة الإسنادية قد يضاف إليهما متممات في نحو الوحدة

الإسنادية الآتي ذكرها. أرى أنك تفهم "je vois que vous comprenez" (٥٦). فالوحدة الإسنادية هي تركيب إسنادي أساسي وقاعدي في بناء اللغة العربية ونسيجها (٥٧) عماده المسند والمسند إليه اللذان يلاحظ أن بينهما رابطة إسنادية معنوية تسمى الإسناد، تجعل كلاً من الركنين المشار إليهما متعلقاً بالآخر. سواء أكان ذلك التعلق والائتلاف بين الاسم والاسم (٥٨)، أو بين الاسم والفاعل (٥٩) فيحصل بتكاملهما وبتزاوجهما علاقة بيان تؤديها هذه البنية القاعدية الصغرى للغة ذات الشكل الثنائي: (٦٠) ذلك أن أصغر وحدة إسنادية تحمل معنى وتبلغ فائدة لا يمكن أن يتجاوز تحليلها إلى أقل من العنصرين المذكورين". ومفهوم الوحدة البياني (proposition) بعنصرها الفاعل والفاعل (sujet+prédicat) عند النحاة الغربيين يطابق مفهوم مصطلح "الوحدة الإسنادية (فعل +فاعل) أو (المبتدأ +خبر) الذي أقترحه بسند عربي صحيح في الرؤية الجديدة لتحليل الجمل العربية وإعرابها" (٦١). وقد سمي سيويوه الوحدة الإسنادية " المسند والمسند إليه " وذهب بعضهم إلى أن هذه الوحدة الإسنادية من أقدم التشكيلات البنوية إذا كانت اسمية (٦٢). والأستاذ " أحمد خالد " لا يشترط في الوحدة الإسنادية أن تستوفي مبناها ومعناها وأن تكون مستقلة عما قبلها وبعدها، ويرى أنها إذا كانت مستقلة بنوياً بذاتها مستوفاة معنى يحسن السكوت عليه عدت جملة بسيطة مستقلة: (٦٣) حيث يقول: " فإذا لم تكن حاكمة ولا محكومة اعتبرت الوحدة الإسنادية مرادفة للجملة البسيطة المستقلة " (٦٤) انطلاقاً من أن الجملة ما كان من الألفاظ قائماً برأسه غانياً عن غيره (٦٥). ويرى أنها إذا كانت جزءاً من بناء أوسع لا يمكن أن تسمى جملة لارتباطها بما قبلها أو بما بعدها (٦٦)، ومن ثم فلا تعد إلا وحدة إسنادية ذات وظيفة معينة (٦٧)، لذلك وجدناه حين التطبيق يخلط بين الوحدة الإسنادية والجملة. وفهمنا من كلامه وتمثيله أن كون التركيب الإسنادي جملة أو وحدة إسنادية ليس بالصفة الثابتة فيه. وإنما هي حالة قد تتوفر في سياق وتتعدم في آخر. ونحن نخالفه هذا الفهم، ونرى أن التركيب الإسنادي الذي يرتبط بتركيب سابق أو لاحق هو وحده الذي يطلق عليه مصطلح "الوحدة الإسنادية " لأن الوحدة الإسنادية لا تستقل بالمعنى بذاتها، وإنما تعتمد على غيرها. ووظيفتها إذن تتمثل في المساعدة على أداء المعنى وإتمامه، ونكون بذلك قد ارتضينا تعريف الدكتور " محمد أحمد نحلة "

للجملة الفرعية (٦٨) وتعريف "محمد الشاوش" لشبه الجملة (٦٩) تعريفاً للوحدة الإسنادية، ذلك أن مفهوم proposition في الفرنسية و clause في الإنجليزية يتناسب مع هذا المنزغ (٧٠). حيث إن الوحدة الإسنادية جنس تركيبى لا تنفرد به اللغة العربية، فهو متواجد في جميع اللغات. وقد اهتمت به اللسانيات الحديثة في الدراسة البنوية الوصفية للجمل وتحليلها النحوي (syntaxe analyse structurale et logique) (٧١). ولقد أكد اللسانياتي الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه "اللسانيات واللغة العربية" على تلاقي اللغة العربية مع غيرها من اللغات على الرغم من خصوصيتها في معرض رده على المفكرين من الباحثين المجددين "نظرية العامل" فقال "ليست العربية كما يدعي بعض اللغويين العرب لغة متميزة تنفرد بخصائص لا توجد في لغات أخرى، ومن ثمة لا يمكن وصفها بالاعتماد على النظريات الغربية" التي بنيت لوصف لغات أوروبية، بل اللغة العربية لغة كسائر اللغات البشرية. فاللغة العربية بصفاتها لغة تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتتشترك معها في عدد من الخصائص الصوتية والتركييبية والدلالية وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات، وبصفاتها عربية تختص بمجموعة من الخصائص التي لا توجد في كل اللغات وإنما توجد في بعض اللغات" (٧٢). ومثال التلاقي التركيب: مسند إليه ومسند (sujet, prédicat) وهي الجنس اللغوي النوعي القاعدي المشترك بين جميع أصناف الجمل (٧٣). أما التركيب الإسنادي المستقل مبنى ومعنى فأولى له ثم أولى له أن يسمى جملة لا وحدة إسنادية. وأساس ذلك أن "الأصل في الجملة أن تكون مستقلة لا تقدر بمفرد (٧٤) فتكون جزءاً لما قبلها (٧٥). وهكذا يكون معيار الاستقلال وعدمه هو المميز بين الوحدة الإسنادية والجملة، لأن تعدد المصطلح المسمى الواحد مدعاة هذا الاضطراب وهذا الخلط المسجلين، ولا مبرر له بوصفه لا يعين على إزالة اللبس الذي بين المصطلحين، ثم إننا بتوحيد مفهوم الجملة البسيطة (٧٦) مع مفهوم الوحدة الإسنادية نكون قد استمررنا فيما وقع فيه النحاة القدامى من الخلط، وساعتئذ ماذا عساه أن يفيدنا تدقيقنا لتعريف الجملة الذي قصرناه على التركيب الإسنادي المستقل إذا كنا حين نأتي إلى الوحدة الإسنادية فلا نكون دقيقين معها نرتضيها للتركيب الإسنادي المستقل وللتركيب الإسنادي غير المستقل.

أنواع الوحدة الإسنادية :

تقسم الوحدة الإسنادية من حيث البساطة والتركيب إلى قسمين :

أولاً: الوحدة الإسنادية البسيطة:

وهي التركيب المتضمن مسنداً ومسنداً إليه يردان مفردين؛ (٧٧) أي غير مركبين، ولا يكونان معنى مستقلاً (٧٨). وهذا في أقصر صورها (٧٩). فهي من حيث البنية الشكلية مثل الجملة البسيطة تنتهي حدودها في إطار المسند والمسند إليه لفظاً أو تقديراً. وقد تأتي الوحدة الإسنادية البسيطة فعلية أو اسمية، ونقف على مثالين لها في الآيتين الكریمتين:

المثال الأول:

قال تعالى: (قال هي عصاي) (طه / ١٨) ذلك أن التركيب الإسنادي (هي عصاي) وحدة إسنادية اسمية بسيطة مركبة من المسند إليه (هي) الذي يسمى مبتدأ، ومن المسند (الخبر) عصاي (٨٠). وعد هذا التركيب وحدة إسنادية لأنه لا يستقل بنفسه لارتباطه بالتركيب الإسنادي السابق "قال". ويسجل أن هذه الوحدة الإسنادية قد أدت وظيفة المفعول به (مقول القول) (٨١).

المثال الثاني:

ويتعلق بالوحدة الإسنادية الفعلية البسيطة قال تعالى: (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) (يوسف / ١٦). فهذه الآية اشتملت على وحدة إسنادية فعلية بسيطة هي "يبكون" المؤلفة من المسند الفعل المضارع "يبكي"، والمسند إليه (الفاعل المتمثل في واو الجماعة). ونسمي هذا التركيب وحدة إسنادية لأنه لا يتوفر على شرط الاستقلال، حيث إن هذه الوحدة الإسنادية تأخذ إعراب المفرد (٨٢) وتقوم بوظيفة الحال (٨٣).

وسمي وحدة إسنادية بسيطة لأنه ينهض على دعامتين أساسيتين ممثلتين في الفعل والفاعل اللذين جاءا مفردين لا مركبين. أما التركيب الإسنادي المبتدأ به هذه الجملة المركبة (٨٤) في هذه الآية: "وجاءوا أباهم عشاء" فيعد جملة فعلية بسيطة (٨٥).

والوحدة الإسنادية البسيطة قد لا يظهر في بنيتها الإسنادية السطحية (الظاهرة) ركنها الأساسيان (المسند والمسند إليه) في نحو الوحدة الإسنادية الفعلية البسيطة

الواردة في قوله تعالى: (ولا تقل لهما أف) (الإسراء/ ٢٩). ذلك أن "أف" هي وحدة إسنادية فعلية بسيطة بنيتها العميقة أتضجر (٨٦) مشتتلة على مسند (فعل مضارع) "أتضجر" (٨٧)، ومسند إليه (فاعل بنيته العميقة وتقديره الضمير المستتر "أنا"، لأن حذف المسند إليه (الفاعل) في هذه الوحدة الإسنادية لا يلغي وجوده بالقوة. إذ إن تقديره واجب دل على وجوبه حصول الفائدة التي لا تحقق بدونه (٨٨)، ثم إن الفاعل المستتر المقدر يراد منه إرجاع ما حذف ليأخذ حقه في تحليل الوحدة الإسنادية التي هي في جوهرها قائمة على ثنائية المسند والمسند إليه كما أوضحنا. والفكرة التي تنتهي إلى أن الفاعل إن لم يكن موجداً في البنية السطحية فهو مقدر في البنية العميقة نابعة من البنية الأساسية للجملة الفعلية التي تقرر أن الفعل لا بد له من فاعل. وهذا الفاعل إذا كان مستتراً فإن الاستتار معتبر في الفهم كأنه موجود (٨٩). وقد ورد مكوّن هذه الوحدة الإسنادية المختزلة (٩٠) التي لا يظهر في بنائها الإسنادي القاعدي المسند والمسند إليه مفردين، ووصفت بالبسيطة لأنها جاءت مرتبطة بالتركيب الإسنادي الذي قبلها "لا تقل لهما" غير مستقلة بمبناها ومعناها. فهي متممة تؤدي وظيفة مقول القول. وإذا كانت أسماء الأفعال التي يعدها ابن جني جملاً (٩١) مفيدة (٩٢) ويعدها اللسانياتون الغربيون (كلمات جمل) (mots/phrases) أو جميلات "phrasillons" لكونها "في نظرهم" تؤدي المعاني نفسها التي تؤديها الجمل (٩٣)، فإننا نطمئن إلى أن أسماء الأفعال هذه تسمى جملاً بسيطة فقط إذا كانت غير واردة ضمن تركيب أوسع نحو اسم فعل الأمر الذي نقف عليه في قوله تعالى (عليكم أنفسكم) (المائدة/ ١٠٥) ذلك أن التركيب "عليكم" اسم فعل أمر معناه "الزموا". إذ إن النحاة العرب أدركوا أن خلف التركيب الظاهر يكمن تركيب آخر باطن في ضوئه يتحدد المعنى الوظيفي لعناصر التركيب. لأن تفسير المعنى معتمد على تركيب مقدر (٩٤). فهو جملة فعلية بسيطة دعامتاً "فعل الأمر" "الزم"، والفاعل "واو الجماعة". ولما كان اسم الفعل هذا متصفاً بصفات فعله (٩٥) المتعدي تطلب مفعولاً به "أنفسكم" (٩٦). وعد هذا التركيب الإسنادي جملة لعدم اكتتاف تركيب آخر له، فهذا التعبير يطابق الجملة البسيطة المستوفاة المبنى والمعنى. أما أسماء الأفعال هذه إذا كانت مرتبطة بتركيب سابق أو لاحق فتسمى وحدات إسنادية بسيطة. ونلفت الانتباه إلى أن مثل هذه الوحدات الإسنادية لا تكون إلا فعلية (٩٧)

ثانياً: الوحدة الإسنادية المركبة:

بعد أن عرفنا الوحدة الإسنادية البسيطة التي تتكون من ركنين بسيطين (مفردين) في أبسط صورها(٩٨). ننتقل إلى تعريف الوحدة الإسنادية المركبة. فهي التركيب الإسنادي الذي يكون عنصر أو أكثر من عناصره الأساسية (٩٩) أو المتممة وحدة إسنادية بسيطة ، على أن يكون هذا التركيب الإسنادي غير مستقل بنفسه.

ونقف على نموذج لهذه الوحدة الإسنادية في الآية الكريمة: (قال إنه يقول إنها بقرة صفراء). (البقرة /٦٩). وهي "إنه يقول إنها بقرة"; حيث إن هذه الوحدة الإسنادية الاسمية المركبة ورد خبر" إن"فيها وحدة إسنادية فعلية مركبة(١٠٠). وعد هذا التركيب وحدة إسنادية لأنه مرتبط بتركيب سابق"قال(١٠١) وقد أدت هذه الوحدة الإسنادية الاسمية المركبة وظيفة مقول القول(١٠٢). ومن خلال استقرائنا للوحدات الإسنادية المركبة التي مثل لها الأستاذ" أحمد خالد"سجلنا ملاحظة خطيرة مؤداها أنه جعل الوحدة الإسنادية المركبة رديفة الجملة المركبة ؛ حيث وجدناه قد صنف المثالين اللذين ساقهما لهده المسألة وهما: " الأم شأنها في الحس أعظم." و" من سعادة المرء أن يرزق السعادة " ضمن الوحدة الإسنادية المركبة مثلها كمثل الوحدة الإسنادية البسيطة لا تكون إلا ضمن الجملة المركبة على الرغم من إقراره بأنهما مكتملتا المبنى مستوفيتا المعنى(١٠٣). وهما في حقيقةهما جملتان اسميتان مركبتان.

وأمام هذا الاضطراب الملاحظ ، وحتى لا يبقى مصطلحا الجملة والوحدة الإسنادية مستغلقين نلفت الانتباه إلى أن الوحدة الإسنادية دال يحيل إلى مدلول محدد ينبغي أن لا ينصرف ذهن المتلقي إلا إليه عند إطلاقه. هذا المدلول الذي يحمله هذا الدال المتمثل في الوحدة الإسنادية إنما هو التركيب الذي " يتوفر فيه شرط الإسناد ولا يتوفر فيه شرط الاستقلال" (١٠٤) أي أن الوحدة الإسنادية تطلق فقط على التركيب المتضمن المسند والمسند إليه الوارد ضمن تركيب أكبر منه ، سواء أكانت هذه الوحدة الإسنادية بسيطة أم مركبة. وجرياً على ذلك نرى أن مصطلح " الجملة " هو الآخر دال لا يحيل إلا على التركيب الإسنادي بسيطاً كان أم مركباً. ذلك أن أفراد مصطلح "الوحدة الإسنادية" الذي التبس مفهومه على الكثيرين على التراكيب الإسنادية المرتبطة بما قبلها أو بعدها ، وإفراد مصطلح "الجملة" على التراكيب التي لم تكن جزءاً من أي

تركيب آخر أوسع منها (١٠٥) من شأنه تخليص نحونا العربي من الخلط والاضطراب اللذين نرى أن مآتهما هو عسر حصر تحديد صارم لهذين المصطلحين، وعدم توحيد المصطلح للمدلول الواحد. لأن التعريفات السابقة للجملة التي مفادها أن كون التركيب الإسنادي جملة ليس بالصفة الثابتة فيه، وإنما هي حالة قد تتوفر في سياق، وتعدم في آخر. وأول ما يجب الالتفات إليه هنا هو الوعي بالفرق بين الجملة والوحدة الإسنادية. ومختصر القول إن الفرق الجوهرى بين الجملة والوحدة الإسنادية إنما يعزى فقط إلى توفر شرط الاستقلال أو عدم توفره؛ ذلك أن طبيعة البنية التركيبية لكل منهما غير مختلفة، حيث إن الجملة البسيطة والوحدة الإسنادية البسيطة كلتيهما تتألف في أبسط صورها من مسند ومسند إليه منفردين. كما أن الجملة المركبة والوحدة الإسنادية المركبة كلتيهما يتوجب في حدها الأدنى أن يكون أحد عناصرها وحدة إسنادية، سواء أكانتا اسميتين أم فعليتين.

هوامش وإحالات الفصل الثالث

- (١) ينظر بومعزة رابع: المرجع السابق، ص ٨٥.
- (٢) ينظر محمد الشاوش: ملاحظات بشأن تركيب الجملة في اللغة العربية، سلسلة اللسانيات، العدد ٣، ١٩٦٦، ص ٢٤٣، ٢٤٤.
- (٣) ينظر أحمد محمد محمد قدور: مبادئ في اللسانيات، ص ١٤١.
- (٤) نقصد بذلك المصطلح الفرنسي proposition والمصطلح الإنجليزي clause.
- (٥) ينظر أحمد خالد: تحديث النحو العربي، موضة أم ضرورة، ص ٢٧.
- (٦) يقصد مصطلح الجملة الصغرى، ينظر بومعزة رابع: المرجع نفسه، ص ٢٥.
- (٧) ينظر د. محمد إبراهيم عبادة: الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، ص ٣١، ٣٢.
- (٨) ينظر محمد إبراهيم عبادة: المرجع نفسه، ص ٣٢.
- (٩) أي أن إطلاق مصطلح جملة عليها إن هو إلا إطلاق مجازي. ينظر السيوطي: همع الهوامع، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم وعبد السلام هارون، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥، ٦٧/٥.
- (١٠) د. محمد إبراهيم عبادة: الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، ص ٣٢.
- (١١) الموسوم بعنوان: " تحديث النحو العربي موضة أم ضرورة " .
- (١٢) الشريف الجرجاني: التعريفات، ص ٢٣.
- (١٣) يقصد بما يجري مجرى الكلمة " الوحدة الإسنادية " أي التركيب الإسنادي الذي يقوم مقام الكلمة .
- (١٤) التفازاني مسعود بن عبد الله سعد الدين : شرح تلخيص المفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص ٣٠.
- (١٥) محمد علي بن علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون ، خياط، بيروت ، د. ت، ٦٤٢/٣.
- (١٦) ينظر. د مصطفى جطل: نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مكتبة كلية الآداب جامعة حلب، د ت، ص ٩.
- (١٧) الشريف الجرجاني: المرجع نفسه، ص ١٣٢.
- (١٨) ينظر بومعزة رابع: المرجع السابق، ص ٨٠.
- (١٩) ينظر بومعزة رابع: المرجع نفسه، تعريف الوحدة الإسنادية، ص ٨٥.
- (٢٠) ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د. ت، ٢٠/١.
- (٢١) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب، القاهرة، ١٩٤٥، ٦٤٢/٣.
- (٢٢) وبين اسم الناسخ وخبره.

- (٢٣) ينظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، ص ٩٥ .
- (٢٤) ابن يعيش: شرح المفصل، ١ / ٧٤ .
- (٢٥) وكذلك في الوحدة الإسنادية .
- (٢٦) ينظر مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في الجملة العربية، مكتبة لبنان، ناشر والشركة المصرية والعالمية للنشر، أو نجمان، دار توبقان للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٩٩٧، ص ٧ .
- (٢٧) مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، بيروت، ١٩٦٤، ص ٣١ .
- (٢٨) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٤٠٥ .
- (٢٩) الزمخشري: المفصل، ص ٢٤ .
- (٣٠) يقصد بذلك أنه ينقسم إلى جملة أو وحدة إسنادية فعلية أو اسمية، ويتكون في أقصر صورة من مسند ومن مسند إليه .
- (٣١) ينظر د. مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص ٣١ .
- (٣٢) ينظر عثمان أمين: فلسفة اللغة العربية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٩، ص ٢٥ .
- (٣٣) يعني بالمقصود لذاته: التركيب الإسنادي في الجملة المتمتع بالاستقلال. ويعني بغير المقصود لذاته التركيب الإسنادي في الوحدة الإسنادية التي تفتقر إلى هذا الاستقلال.
- (٣٤) الاسترابادي: شرح الكافية ١ / ٨ .
- (٣٥) أحمد خالد: تحديث النحو العربي، موضة أم ضرورة، ص ٣٥ .
- (٣٦) وقد يحذف أيضاً المسند إليه (نائب الفاعل) .
- (٣٧) البنية السطحية تمثل الصورة الفعلية المحسوسة للجملة أو الوحدة الإسنادية من حيث النطق، ومن حيث العناصر المكونة لها. والبنية العميقة هي الصورة المثالية الكاملة للجملة أو الوحدة الإسنادية. وهي التي لا تظهر في الكتابة ولا يتلفظ بها. فهي حسب اللسانياتيين موجودة في ذهن المتكلم من حيث الدلالة والعناصر المكونة لها في صدرتها الأولى. ينظر عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، ص ١٤٣ .
- (٣٨) يلاحظ أن فاعل الجملة الفعلية " جاء " بنيته العميقة هي " هو ". وفاعل الوحدة الإسنادية الفعلية " يمشي " المؤدية وظيفة الحال بنيته العميقة هي " هو " أيضاً .
- (٣٩) ينظر حسن خميس سعيد الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، ص ١٨٧ .
- (٤٠) ينظر حسن خميس سعيد الملخ: المرجع نفسه، ص ١٣٦ .
- (٤١) علي أبو المكارم: أصول التفكير العربي، مكتبة الشباب، القاهرة، ٩٨٢، ص ٢٩٧، ٢٩٨ .
- (٤٢) وابن هشام يرى أن التركيب الإسنادي المبتدأ بفعل ناقص يسمى جملة فعلية.
- (٤٣) ويرى ابن هشام أن الجملة المبدوءة باسم فعل هي جملة اسمية. ينظر ابن هشام: مغني اللبيب، ١٢٩/١ .

(٤٤) ذلك أن هذا المصدر الصريح هو في بنيته العميقة جملة فعلية أو وحدة إسنادية فعلية إنشائية وهو صورة من صور الأمر.

(٤٥) ويشمل الوصف اسم الفاعل واسم المفعول، والصفة المشبهة وصيغ المبالغة واسم التفضيل. ينظر بومعزة رابع: المرجع السابق، صور الوحدة الإسنادية الفعلية المؤدية وظيفية الخبر، ص ١٤٢ من هذا البحث.

(٤٦) لأن المفعول به الثاني لها أصله مسند للمفعول به الأول الذي هو في أصله مسند إليه (مبتدأ).

(٤٧) ومثاله: " يري المدرس المتعلمين العلوم نافعة" ذلك أن المفعول به الثالث هو في أصله في مثل هذه الجملة مسند إلى المفعول به الثاني.

(٤٨) يقصد بشبه الفعل التام اسم الفعل، والوصف العامل عمل فعله.

(٤٩) يقصد بنائب الفاعل لشبه الفعل التام نائب الفاعل لاسم المفعول، في نحو الجملة " هل مفهوم التعريف؟" التي هي جملة فعلية. المسند فيها ورد وصفاً.

(٥٠) لأن المفعول به الثاني لهذه الأفعال هو في أصله مسند إليه (مبتدأ).

(٥١) لأن المفعول به الأول لظن وأخواتها هو في أصله مسند إليه (مبتدأ).

(٥٢) ونائب الفاعل عد مسنداً إليه سلبياً. ينظر د. هاشم إسماعيل الأيوبي: الجملة العربية بين النحو والبلاغة والتواتر، ص ٣٩. وينظر بومعزة رابع: المرجع السابق، صور الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفية العناصر الأصلية أو العناصر المتممة، ص ٩٣، و ٢٨٠ من هذه الرسالة.

(٥٣) اللسانياتيين: يقصد بهم علماء اللسانيات.

(٥٤) والصواب اللسانياتيون .

(55) Maurice Grevisse. le bon usage (sur la langue française d'aujourd'hui) ed. seuil, paris , 1980 . p 163.

(56) أحمد خالد: تحديث النحو العربي، موضة أم ضرورة، ص ٣٠ - ٣١ .

(57) أحمد خالد: المرجع نفسه، ص ٣٥ .

(58) في الجملة الاسمية البسيطة.

(٥٩) ينظر أبو علي الفارسي: الإيضاح العضدي، ص ٩ .

(60) أحمد خالد: المرجع نفسه، ص ٣٥ .

(٦١) أحمد خالد: المرجع السابق، ص ٣١. وينظر سيوييه: الكتاب، ١/ ٢٣

(٦٢) ينظر: برجستراستر: التطور النحوي للغة العربية، ص ٢٢٢-٢٢٣ .

(٦٣) أحمد خالد: المرجع نفسه ، ص ٣٥ .

(٦٤) ينظر أحمد خالد: المرجع نفسه، ص ٤١ ، ٤٠ .

(٦٥) ينظر ابن جني : الخصائص، ١/ ١٩٠١٧ .

(٦٦) ينظر أحمد خالد: المرجع نفسه ، ص ٤٠ .

- (٦٧) ينظر بومعزة رابع: المرجع السابق، صور الوحدة الإسنادية الوظيفية ص ٨٥.
- (٦٨) ينظر محمود أحمد نحلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص ٢٤.
- (٦٩) ينظر محمد الشاوش: ملاحظات بشأن تركيب الجملة في اللغة العربية، سلسلة السانيات، ص ٢٤٤.
- (٧٠) ينظر ابن يعيش: شرح المفصل، ٥٤/٣.
- (71) voir Lucien tesnière: *Eléments de syntaxe structurale*, Edition, Klincksieck, Librairie, Paris, 1966, P. 94-99.
- (٧٢) د. عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، ط، بيروت، ١٩٨٦، ص ٥٦.
- (٧٣) ينظر عبد القاهر المهيري: (الجملة في نظر النحاة)، حوليات الجامعة التونسية، ص ٣٧، ٣٨.
- (٧٤) أي لا تحل محل المفرد. ينظر السيوطي: الأشباه والنظائر، ٢١/٢.
- (٧٥) أبو حيان: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق د. مصطفى النحاس، دار نهضة مصر، د. ت، ص ٣٧٥/٢٥.
- (٧٦) ويسمى بعضها بعضهم الجملة المستقلة.
- (٧٧) أحمد خالد: تحديث النحو العربي موضة أم ضرورة، ص 73.
- (٧٨) عبد القاهر المهيري: (الجملة في نظر النحاة)، المرجع نفسه، ص ٣٨.
- (٧٩) وقد يضاف إلى هذين الركنين الأساسيين الواردين مفردين عناصر أخرى غير إسنادية كالمفعول به بشرط أن تكون هذه العناصر مفردة أيضاً ينظر صور الوحدة الإسنادية البسيطة الوظيفية. ص ٨٥.
- (٨٠) عصا: خبر وهو مضاف وباء المتكلم مضاف إليه.
- (٨١) ينظر بومعزة رابع: المرجع السابق، صدر الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفية مقول القول، ص ٢٥٠.
- (٨٢) ينظر محمد صادق: الإعراب المنهجي، ١/ ٧٤.
- (٨٣) ينظر بومعزة رابع: المرجع نفسه، صور الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفية الحال، ص ٢٨٠.
- (٨٤) (وجاءوا أباهم عشاء بيبكون) تعد جملة فعلية مركبة.. ينظر ص ٢٨٣.
- (٨٥) ينظر بومعزة رابع: المرجع السابق، صور الجملة الابتدائية ووظائفها البيانية، ص ٣٩٦.
- (٨٦) ينظر: الزمخشري: المفصل، ص ١٥١.
- (٨٧) وبعضهم رأى أن اسم الفعل هو فعل سماعي، ينظر عبد الوهاب مبروك: في إصلاح النحو، ص ١١٥.
- (٨٨) د. حسن خميس الملخ: التفكير العلمي والنحو العربي، ص ١٨٧.
- (٨٩) ينظر د محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية. ص ١٣٢.
- (٩٠) ينظر أحمد خالد: تحديث النحو العربي موضة أم ضرورة، ص ٤٤.
- (٩١) ينظر ابن جني: الخصائص، ١/ ٢٧٥.
- (92) voir Lucien tesnière: *Eléments de syntaxe structurale*, P. 94 – 99

- (٩٣) محمد إبراهيم عبادة: الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية، ص ١٧٥.
- (٩٤) ينظر د. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص ٧٩. ود. مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ٤٠.
- (٩٥) المفعول به هو "أنفس" وهو مضاف و الضمير المتصل "كم" مبني في محل جر مضاف إليه.
- (٩٦) ويعد ابن هشام هذا التركيب جملة اسمية. ينظر ابن هشام: المغني، ٦٧/٢.
- (٩٧) وقد يكون المسند في الوحدة الإسنادية الاسمية وصفاً عاماً. ينظر ينظر بومعزة رابح: المرجع السابق، ص ١٤٢.
- (٩٨) لأن بعضهم يعد المفعول به عنصراً أساسياً مثل المسند والمسند إليه.
- (٩٩) ينظر بومعزة رابح: المرجع نفسه، ص ١٦٧.
- (١٠٠) "قال" تركيب إسنادي قوامه الفعل الماضي + الفاعل المضمر "هو".
- (١٠١) ينظر بومعزة رابح: المرجع السابق، ص ١٨٧.
- (١٠٢) ينظر أحمد خالد: تحديث النحو العربي، موضة أم ضرورة، ص ٤٨، ٤٩.
- (١٠٣) ينظر الزمخشري: المفصل، ص ١٥١.
- (١٠٤) هذا التعريف حد به محمد الشاوش "شبه الجملة" ينظر محمد الشاوش: ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربية، ص ٢٤٤.
- (١٠٥) ينظر تعريف مارتيني في كتابه:
- "La linguistique synchronique" Presse Univercitaire, Paris, 1974, P72, une construction qui n' entre j amais dans une construction plus vaste .